Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان ابن المعتز بارعاً فى صنع الصور والتشبيهات ، وهى براعة نرى آثارها فى كل مكان من ديوانه ، ومن الصعب أن نجمعها فى حيز محدود من صحيفة أو صحف ، ومع ذلك فمن المحقق أنه كلما جمع ناقد منها طائفة خرجت إليه أصباغ تحكى أصباغ الطيف أصباغ للون واحد ، ولكنه لون معقد يعقده ابن المعتز ، ويستخرج منه أوضاعاً متضاربة يشيع فيها النور والجمال والحياة ، ولننظر إلى قوله :

فُـزَوْبَعَـةٌ من بنـاتِ الـرِّيـاحِ تُـريكَ عـلى الارضِ شَـدّاً عَجَبْ
تَـضُـمُّ الـطَّريـدَ إلى نَـحْـرِهـا كضَمِّ المحِبِّ لمن قـد أحب(٤٢)

إنها صورة خيالية رائعة لابد لها من خيال فنان حتى يعرضها على أنظارنا ، فإذا هذا العناق الغريب ، ولننظر إلى قوله :

ورَنَـا إلىّ الفَـرقَـدانِ كـما رَنَتْ زَرقـاءُ تنظُرُ من نِقـابٍ أسْـودِ(٤٣)

فإننا نرى ابن المعتز يعرف كيف يطرف قارئه بالصور الغريبة ، وإنها لصور نادرة . هى ليست صوراً جامدة من تلك التى تواضع عليها الشعراء وأصبحت متحجرة فى اللغة ، إذ فقدت نضرتها وبهجتها ، بل هى حية ناضرة وكأنما نُقشت رسومها بالامس ؛ نقشها شاعر كان صباً ببعث الحياة والحركة فى صوره حتى ليحسّ من يقرأ فى ديوانه كأنه يعيش فى دار من دور الصور المتحركة ، فما يزال يرى مناظر وأشكالا من شخوص ووجوه ، وهى وجوه مستعارة ، ولكنها تعبّر عن روعة الفن بأجمل مما تعبر عنه الوجوه الحقيقية . ولننظر إلى صورة الليل وهذا الوجه الحبشى :

قـد أغتـدى والليـلُ فى مـآبِـهِ كـالحبشىّ فـرّ من أصحـابـهِ
والصّبـحُ قـد كشَّفَ عن أنيـابِـهِ كـأنَّـهُ يضحَـكُ من ذَهَابـهِ(٤٤)

فإننا ما نلبث أن نستغرق فى الضحك من هذا الحبشىّ أو هذا الوجه المستعار ، بل إنه لوجه حقيقى يعبر عن حقيقة مظلمة وراءه ، ولكن سرعان ما يخلفه وجه آخر ضاحك ، هو وجه الصباح الجميل .

---

(٤٢) المصدر نفسه ٦٥ .
(٤٣) المصدر نفسه ١٥٩ .
(٤٤) المصدر نفسه ٨٦ .